قواعد تربوية

رمضان ١٤٤٤

تقديم

أنا هيد بنت عيد السمبري

غفر الله لها ولوالديها

بسم الله الرحمن الرحيم

تقدّم لكم مدوّنة (عِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ) تفاريغ من دروس الأستاذة الفاضلة

أناهيد بنت عيد السميري حفظها الله

ونسأل الله أن ينفع بها.

https://anaheedblogger.blogspot.com

تنبيهات هامة:

- منهجنا الكتاب والسّنة على فهم السّلف الصالح.
- هذه التّفاريغ من عمل الطّالبات ولم تطّلع عليها الأستاذة حفظها الله.
- الكمال لله -عزَّ وجلَّ-، فما ظهر لكم من صواب فمن الله وحده، وما ظهر لكم من خطأ فمن أنفسنا والشّيطان، ونستغفر الله.

والله الموفّق لما يحبّ ويرضى.

بسم الله الرحمن الرحيم

يوم الخميس 8 رمضان

(سورة الأنعام 112- 113)

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

نحمد الله حمدا كثيرا طيبا مباركا، ونسأله بمنّه وكرمه أن يصلح لنا نفوسنا، وأن يوسع علينا قلوبنا، فتحتمل من العلم العظيم الذي في القرآن والسنة ما يحملها لتصل سالمة ويكون هذا العلم سبب لسلامة القلب فتكون قلوبنا التي وصفت بأنها القلوب السليمة الممدوحة في كتاب الله، الناجية يوم العرض عليه سبحانه وتعالى.

العلم سبب لشفاء ما في الصدور من علل وأمراض، سبب للنجاة في الدنيا والآخرة، هذا العلم الذي له هذه الصفات الممدوحة، الذي هو سبب الاستقامة على الصراط المستقيم، والوصول بسلامة إلى رب العالمين، والنجاة بالقلب السليم، هذا العلم وهذا الحق الذي جاء في الكتاب والسنة، جاء به نبينا ﷺ لا بد أن نشعر بقيمته، ولا بد أن نتيقن أنه هو غذاء الروح وأن فقدانه يعني فقدان روح الحياة، فالعلم حياة الروح وروح الحياة، فكيف يمكن أن يُفقد العلم؟!

يفقد العلم بانصراف السالكين في طريق الحياة عنه، السائرين في طريق رب العالمين ينشغلون عن العلم فلا تجدهم يربون أنفسهم بهذا العلم المنزل، بل تجد إهمال في تربية النفس، أو كل يركب هواه في التقبيح والتحسين، أو يستورد من غيره ما يربي به نفسه.

لكن لماذا يهمل العلم سالكيه حتى يفقدوه؟ يحصل هذا بسبب عدم النجاح في الاختبار، فالناس يختبرون في العلوم التي رزقوها، كيف يكون هذا الاختبار؟

أخبرنا عن ذلك رب العالمين في **سورة الأنعام**، وبيّن لنا أن هذا الأمر ليس عند الأتباع الذين يتلقون العلم من النبي ﷺ، بل هو مع النبي ﷺ، ومع الأنبياء جميعا هناك من يشوش على العلم، يشوش على الحق حتى لا يستطيع الخلق التمييز بين الحق والباطل، ثم يكسل الخلق عن طلب الحق، ثم يركب الخلق أهواءهم أو أهواء غيرهم ويعتقدون أنهم يربون أنفسهم أو يهذبوها وهم في الحقيقة إما ناصرين لأهواء أنفسهم أو أهواء غيرهم.

فالله، الله بالعلم! بتعلمه ونشره. الله، الله بالإنفاق على العلم وبالبحث الصادق الجاد عن طرقه. الله، الله بالعلم نتعلمه وننشره ونربي أنفسنا عليه، ويذكر بعضنا بعض به، وكل هذا بإذن الله سيكون في ميزان الحسنات، وكل هذا بإذن الله سيصلح الإنسان، ويصلح ذريته ويصلح مجتمعه، كل هذا نجده نورا يوم القيامة بإذن الله.

سنعرف هذه الحقيقة وننشغل بها وتكون سببا لحرصنا على العلم لما نناقش هذه الآيات من سورة الأنعام 112 و113، نسمعها ثم نبدأ في مناقشتها والنظر إلى القاعدة التربوية التي تحملها هذه الآيات الكريمات:

(وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ (112) وَلِتَصْغَىٰ إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ (113))

هذه الآيتين العظيمتين في سورة الأنعام، هذه السورة التي جمعت شبه أهل الباطل وفندتها وبينتها وعلمتنا عن رب العالمين الشيء الكثير الدال على عظمته وجلاله عز وجل. هذه السورة التي فندت الباطل أخبرت خبرا عظيما وجهته للنبي ﷺ، ولكل من يصلح له الخطاب، بينت الآيات أن هذه سنة الله التي لا يخلو منها زمان ولا يستثنى منها نبي، ما هي سنة الله؟

(وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا) وهذا يصلح أيضا لكل من يسير على طريق الأنبياء، ولكل مجتمع يبذل جهده من أجل أن يتمسك بالحق، لا بد أن يعرف هذا الأمر، لا بد أن يعرف هذه السنة، هذه سنة الله.

لما نعرف هذه السنة بالتفصيل ماذا نستفيد في تربية أنفسنا؟ واضح جدا في آخر هذه الآية (فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ) لأن الإنسان إذا ما عرف هذه الحقيقة؛ أن لا بد للحق من أعداء، يمكن أن يشك في هذا الحق، يمكن أن يقول لو كان هذا حقا لقبله كل الناس، وأكيد أنه ليس حق لأن بعض الناس لم يقبلوه! لذا رب العالمين سلى رسوله الكريم الذي وقع عليه أمور عظام، تصور أنه أتى بالحق المبين وأوحى إليه رب العالمين، ونزل عليه جبريل، وسمع الكلام العظيم، الذي لو سمعه قومه لانكشفت عنهم الحجب ووصلوا على القمة في العلم وفي قيادة الأمم، لذلك الله عز وجل ذكر في هذا القرآن أنه ذكر لك ولقومك، ستكونوا مذكورين في الأرض كما أنكم مذكورين في السماء إذا آمنتم بهذا الكتاب، أتى النبي ﷺ بهذا الحق وهو محب لقومه ولصلاحهم، فيفاجأ، مع وضوح الحق، إنكاره ومعارضته وشبه على هذا الحق وكلام لا يخرج إلا من السفهاء. ثم إذا أطلق أحد السفهاء هذه الأقوال طارت وسارت وسمعها الناس وأصبحوا يردون بقول السفيه على قول الرسول الكريم.

رب العالمين سلى نبيه وبين سنته، بين له أنه لا بد أن يكون هناك أعداء يردون دعوتك ويحاربونك ويحسدونك، هذه سنة الله؛ أن يجعل لكل نبي يرسل أعداء من شياطين الإنس والجن، يتعاونون سويا ضد الحق، فكأنه يقال ألست نبي؟ (وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا)، فالله عز وجل بحكمته الباهرة، جعل لكل نبي عدو، لأنه لو أتى النبي وكل الناس استسلموا له، سيقال هؤلاء متفقين معه لأجل أن يأكلوا أموال الناس بالباطل ولأجل أن يسيطروا على الناس ويتملكوهم، ويمكن أن يكون هذا سبب لفتنة الناس، ثم إن النبي إذا أسلم كل الناس له، كان بيان تفاصيل الحق أقل، لكن إذا عورض الحق بالباطل زاد بيان الحق، فهذه حكم عظيمة، وغيرها من الحكم التي الله أعلم بها.

في سنته سبحانه وتعالى أنه لا بد أن يكون هناك أعداء للحق يمانعون الناس من معرفة الحق، يمانعون الناس من الوصول إلى الحق، وهذه الاختبارات لا بد منها ليعلم الصادق من الكاذب، في حق النبي هذا الاختبار لزيادة بيان الحق، ولزيادة معرفة صدق النبي فيما أتى به وأنه ليس آت ليسيطر عليهم، فالكل يتفق معه كأنهم يقسمون حصصا بينهم، إنما يأتي فيجد أعداء فينصره الله على هؤلاء الأعداء، ثم إن هذا الأمر أيضا اختبار لاتباع الأنبياء؛ هل يصمدون على الحق أو يتركون الحق.

مبدأ المسألة أن الحق لا بد أن يكون له أعداء وفي وجود الأعداء حِكم عظيمة.

ما وسيلة الأعداء في عداوتهم؟ شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول، هذه هي الوسيلة، شياطين الإنس والجن يتعاونون على الباطل، يوحي بعضهم إلى بعض، يلقي ويوسوس بعضهم إلى بعض زخرف القول، الكلام المموه، المزين في ظاهره، الباطل في

باطنه، وهذا مثل لما نتعامل مع الأطفال فنأتي لهم بأشياء ملونة ومبهرجة، فينشغلون بها، مزخرفة، فالزخرفة تشغل الإنسان، والزخرفة بمعنى الزينة، زخرف القول يعين القول المزين، حتى الذهب يسمى زخرف لأنه يتزين به حليا، فهم ينشرون القول المزخرف، المزين، ما معنى هذا الوصف؟ لماذا وصف القول بأنه مزخرف؟

هذا دليل على أن هذا القول محتاج إلى التحسين والزخرفة من أجل أن يقبل. هذا الكلام بنفسه شر فيحتاج قائله إلى تزيينه وتحسينه لأجل أن يخفي ما فيه من الضر، لأن الناس لو اطلعوا على ما فيه من ضر نفروا منه. هذا التزيين يروج به الكلام وتستهوى به النفوس، مثلما نموه للأطفال الألعاب بالألوان فتكون النتيجة انشغال الأطفال بهذا وإعجابهم به.

زخرف القول هذا **غرور** وفيه خداع وإطماع بالنفع لقصد الإضرار. مقصود زخرف القول الغرور، من أجل أن يغروا الناس ويخدعوهم فيصلوا إلى قبول كلامهم ويغفلوا عن حقيقة كلامهم، الإنسان متى يغر؟ لما يعتقد بشيء أنه نافع وهو ليس بنافع. هذه الطريقة التي يستخدمونها فيشغلون الناس عن العلم، يشغلون الناس عن الحق، فبدل ما الإنسان يُقبل على القرآن، يتعلم منه، يقبل على السنة فيجتهد في معرفتها ويربي نفسه عليها، يجد من يصده عن ذلك، هل ينزع منه القرآن والسنة؟ لا ينزعها منه ففي البيت مصاحف عديدة وكتب علم، لكن ينشغل الإنسان بزخرف القول، ينشرون زخرف القول لينشغل الناس عن الحق، فتجدهم بدلا من الاستشهاد بقال الله وقال رسوله، يستشهدون بكلام مزخرف، ويغفلون عما في القرآن ثم إذا فكروا بعمق في مسألة يجدون الحقيقة، وجدوا أن هذا الكلام الذي يأتيهم مخالف كل المخالفة لما قال رب العالمين.

المنخدعين يقدمون الكلام المزخرف على كلام رب العالمين ويجعلون الكلام المزخرف هو العمدة لهم ثم يأتون إلى كلام رب العالمين ويجعلونه مردودا، فيعارضون كلام رب العالمين بكلام المخلوقين المزخرفين لكلامهم، إلى أن تعظم المسألة أكثر وأكثر فتجده لا يرتاح إلا إلى كلام هؤلاء، وتجده يقول جنبوا مجالسنا الكلام الديني، نريد في مجالسنا وتربيتنا وأطروحاتنا الفكرية ثمرات المفكرين والذين عاشوا الموافق وتكلموا به، ويأخذ من أفكار الخلق ما يعارض به كلام الرب سبحانه وتعالى، مستعظما لكلام الخلق، مستبعدا لكلام الرب سبحانه وتعالى!

وفي نهاية هذا الطريق المعوج تجد الإيمان قد نزع من قلبه، نعوذ بالله. هؤلاء لما ينتشر حالهم ويحاجون ويجادلون ويستشهدون بكلام فلان وعلان أما كلام رب العالمين هذا يضعف العلم ويقلل العناية به، ويجعل الناس مقبلين على هذه الأقوال تاركين كلام رب العالمين، إلى أن يصل الناس ألا يفقهوا كلام رب العالمين ولا كلام غيره، لأن الكلام المزخرف بعد زمن قليل تكتشف زخرفته لكن تكون الفترة هذه سبب للفجوة مع العلم، سبب للبعد عن كتاب الله، سبب لعدم تربية النفس على ما أتى في كتاب الله، فتكون النتيجة أن الناس لا يلحقون لا كلام رب العالمين ولا كلام الخلق بعد زمن يسير، وهذا شيء طبيعي، فينتشر الجهل بالحق، وتخرج كل يوم أقوال مزخرفة وتنتهي ويأتي ما بعدها من أقوال مزخرفة فيبقى الناس في حال من التخبط، وفي حال من التشتت، وهذا ما يريده أهل الباطل من أهل الحق؛ أن ينشغلوا عن الحق وعن العلم، ويأتوا بزخرف القول فيعارضوا به الحق حتى يحصل ضعف في نشر العلم الذي مصدره الكتاب والسنة، وحتى يبقى الناس يقولون قال فلان وقال علان فقط، ويردون على قول فلان وعلى قول علان، تاركين تأصيل

العلم، تاركين العلم الحق، العلم قال الله، قال رسوله، قال الصحابة أولو العرفان، هذا هو العلم الحق.

هم أرادوا نشر زخارف القول، هذه الإرادة التي فيها خداع للناس يقول رب العالمين (وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ) وهذا في نفوسنا يقين، هنا إشارة إلى أن هذا الابتلاء بالأعداء للإكرام والإعزاز وليس للهوان، إذا كان الإنسان من أصحاب البصيرة، ونلحظ أولا اسم الرب هنا، ما قال سبحانه وتعالى: ولو شاء الله، لكن قال ولو شاء ربك ما فعلوه، ربك الذي أحسن في تربيتك وأعطاك غزير العلم، وهو سبحانه وتعالى قد أحاط بكل شيء علما، وهو على كل شيء قدير وبكل شيء عليم، لوشاء ألا يفعلوه ما فعلوه، لكن لتعلم أن عاقبة هذا خير، وبإلقاء أهل الباطل زخرف القول على أهل الحق، على الأنبياء وأتباعهم خير كثير، فتظهر الحجج بمجادلتهم وترتفع شبهاتهم، ويحصل من أهل العلم اجتهاد أكثر في نشر العلم، ويحصل من أهل الإيمان غيرة أكثر على الحق وعلى نصرته، ويحصل من أهل الأموال إنفاق أكثر على نشر العلم ومساندة أهل العلم بكل الطرق الممكنة.

لذا نلحظ في نهاية هذه الآية أمر النبي ﷺ أن يتركهم، لما بين رب العالمين أنه (لَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ) وهو ربك الذي رباك والذي أرسلك إلى الخلق لتدعوهم إلى الحق لا يمكن أن يخذلك، لكن هذه سنته لمصالح هذه السنة، وعاقبة الأمر إلى خير.

(فَذَرْهُمْ) اتركهم على أي حالة هم فيها، اتركهم ولا تنشغل بهم، لا تنشغل بالحساد والحاقدين الذين يشبهون على أهل الدين، يشبهون على الحق بما يلقونه من زخارف القول، اتركهم وافتراءهم، لا تهتم بأحوالهم لا تتنكد منهم، لا يكونوا بالنسبة لك هَمّ تشعر أن الحق يمكن أن يزول

على أيدينا، بل بالعكس، اشعر أن هؤلاء سبب لرفعة الدين، سبب لنشر العلم، وسبب لغيرة المؤمنين، وهو اختبار للخلق.

وهنا لا بد أن نعرف أن الأمر بالإعراض عنهم (فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ) ليس إعراضا عن وعظهم لا دعوتهم ولا نشر الحق، لكن إعراضا عن الاهتمام والانشغال بهم.

في وقتنا الحالي هذا يلقي زخرف القول في أحد وسائل الاتصال الاجتماعي وينتشر بين الناس فهذا يرد عليه وهذا يتكلم معه وهذا يناقشه، فيبقى يشغل كم كبير من طلبة العلم ويضيع أوقاتهم وينكد عليهم ويشوشهم، وهم كانوا سائرين في نشر العلم فيشغلهم. ما المطلوب؟

اعرض عن هؤلاء لأن هذا وهذا يرد فيرتفع شأن أهل الباطل ويأخذ الموضوع أكبر من حجمه ويصل لما يريد، ماذا نفعل؟ نترك الباطل ينشر؟ انشر الحق وكلما رفع أحد رأسه بشيء من الباطل قابل هذا الباطل بالحق.

مثلا التركيز على إفساد الأسرة، وهذا مثال واضح، على عدم نشر أفكار لأجل أن نصل أن الرجل والمرأة لا يتحملون مسؤولياتهم في البيوت، ماذا تفعل في مقابل هذا؟ لو بقيت تجري وراء من ينشر زخرف القول ترد على هذا وترد على هذا فليس إلا تضييع الوقت وتشتيت الجهود، لكن تعال إلى المجتمع المسلم وانشر قيمة المسؤولية، واشعرهم أنهم سيسألون يوم القيامة وأن هذه الأسرة نعمة من رب العالمين، وكلمهم بالحق ولاطفهم حتى ينشأ جيل يعرف الحق، وهو بنفسه لما يأتيه الباطل على الأقل يتجنبه ولا يغتر به.

وهذا أمر رباني وليس اقتراح إنساني، رب العالمين يقول (فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ) هؤلاء يتعمدون الكذب والاختلاق، تذكر ما لرب العالمين عليك من نعم، واعرف رحمة رب العالمين لتعرف أن الذي سلطهم هذا التسليط وأمكنهم هذا الإمكان وأخرج من نفوسهم الشر الكامن في نفوسهم، هو في غاية الرأفة والرحمة لأهل الإيمان وحسن التربية لهم. فلتكن معتمدا على رب العالمين، قائما بوظيفتك تاركا لأصحاب زخرف القول.

وهنا نؤكد أن ترك أصحاب زخرف القول لا يعني إهمال الموضوع الذي يثيرونه، لكن تعامل مع الموضوع المثار بالطريقة السليمة، فكر أنت وإخوانك المهتمين بإصلاح المجتمع بأمور بها يُصَدّ هذا الباطل، لكن الجري وراء هؤلاء محاولة في رد باطلهم غالبا يكون وراء سراب، خصوصا أننا نعلم أن مع وسائل الاتصال الآن الأعداء مدوا أيديهم إلى داخل الأسر، وتمكنوا من أمور لم يتمكنوا منها سابقا، وربنا رؤوف رحيم بعباده، كل من اجتهد في إصلاح مجتمعه أعانه رب العالمين.

نخرج من هذه الآية أن هناك أقوال مزخرفة تدور حولنا، والمطلوب من أهل الإيمان الصادقين أن يتنبهوا فلا ينخدعوا بالعبارات التي يزخرفها أهلها حتى يجعلوها في أحسن صورة، فلنحذر من أن نغتر بهذه الكلمات التي لا يغتر بها إلا السفهاء الذين لا يميزون بين الحق والباطل، الذين لا يفهمون الحقائق ولا يفهمون المعاني، بل تعجبهم الألفاظ المزخرفة، فيعتقدون الحق باطل والباطل حق.

لا بد أن نفحص الكلام الذي نسمعه، لا بد أن نفهم أن الحق يحتاج منا إلى تأمل وتفكير لتمييزه عن الباطل، ليس أي كلمة تسمعها تطير بها، يخرج الرجل يتكلم في ست عشرة ثانية يكذب صحيح البخاري فتهدم

أنت في نفسك ديوان من دواوين المسلمين؟!! البخاري بقي يجمع كتابه في ستة عشر عاما، كان يجمع أحاديث النبي ﷺ ويسافر يسمع من الرجال، كان يستخير مع كل حديث ركعتين قبل أن يضعه في كتابه، فيأتي جهد ستة عشر عام ينهار في داخلك لست عشرة ثانية تكلم بها مجهول وزخرف لك بالقول؟ الذي يهدم في نفسه ديوان من دواوين الإسلام بهذه الفعلة، هذا اغتر وأصبح سفيها، هذه سفاهة.

يقول أحدهم أنا لا أعرف البخاري ولا أعرف ما فعل وسمعت ما قال هذا فصدقته، نقول هنا يجب أن نفهم أن الحق يحتاج منا إلى بحث وتأمل، يستحق الأمر بحث وتأمل وسؤال، حتى نلقى ربنا يوم القيامة ونحن سالمي الصدور. القلب السليم لا يكون سليما إلا بعلم سليم، إلا بجهد وتفكير وتأمل وبحث عن الحق وصدق لجوء إلى رب العالمين.

لذا تأتي الآية التي بعدها تبين حال الناس وتبين ما يحصل مع الخلق.

السفهاء لما يسمعوا زخرف القول يغترون، وهم أصلا ما نشروا زخرف القول إلا لكي يغروهم، ماذا يحصل لما يغروهم؟ (وَلِتَصْغَىٰ) تميل قلوبهم إلى زخرف القول، مالت قلوبهم إلى الكلام المزخرف (وَلِتَصْغَىٰ إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ).

يجب أن نفكر لماذا هؤلاء هم الذين تميل قلوبهم على زخرف القول؟ -الذين وصفهم رب العالمين أنهم لا يؤمنون بالآخرة، لا يؤمنون بالغيب- لأن الذي لا يؤمن بالغيب ولا يؤمن بلقاء رب العالمين هذا ليس مشغول بالحساب، ليس مشغول باليوم الذي تبعثر فيه القبور ويحصل ما في الصدور، أكبر ضر على الإنسان أن يسير في الدنيا شاعرا أنه لا يحاسب ولا يُسأل لأن هذا يسبب إهماله لنفسه، ما دام لا أحد سيحاسبه سيهمل، وهذا أمر معلوم، الطالب إذا عرف أن لا أحد سيحاسبه على

تعلمه وعلى تكاليفه سيهمل فيها، وهذا طبع الإنسان، فإذا نسي الإنسان الآخرة أو كان لا يؤمن بها، النتيجة التي ستكون أنه لن يحمل هم لقاء رب العالمين، ومن ثم سيتبع هواه وما يزين له من الشهوات، فيأتي هؤلاء يزخرفون القول، فهو يسمع لزخرف القول ويعجب به ويسير وراءهم، لذلك تصغى عقولهم إلى غرور الشياطين ولا تصغى على دعوة النبي ﷺ والصالحين، لأنه لا يحمل هم يوم القيامة.

فمن يحمل هم يوم القيامة سيقول لنفسه أنا أعرف إذا بعثر ما في القبور سأقف بين يدي ربي ويحصل ما في صدري، ستخرج اعتقاداتي وأفكاري، وسيخرج من قلبي ما كان يحمله من عقيدة، فيجب أن أفكر وأركز وأعرف على ماذا ينطوي قلبي قبل أن ألقى ربي، فإذا أتاه قول يفنده ويقول هل هذا أدخله إلى قلبي أو لا أدخله، أوقفه عند الباب أو أسمح له بالدخول؟ هل هذه فكرة مسموحة أو غير مسموحة؟ هل هذه فكرة شيطانية؟ هل هذه من زخرف القول؟

لذلك لما تجد في الواقع اليوم الناس ينشرون بعض الأقاويل التي أتت من عند الكفرة الفجرة، هذه الأقاويل في عقيدة الإنسان في رب العالمين، في عقيدة الإنسان في الحياة، في سلوك الإنسان وأخلاقه، في علاقته بالخلق حوله، فتجد دعوات خفية مزخرفة قريبة، كلمة بسيطة في تغريدة تدعو الناس إلى السلام مع النفس، أو تدعو بعض الناس إلى شيء يسمونه رفع الاستحقاق، وأنت تستحق، أو ينشرون تغريدة تتكلم عن وجوب ثقتك في نفسك، وأنك يجب أن تنميها، ويجب أن تعرف أنك تستطيع وتقدر، أفكار لو دخلت على القلب أفسدته إفسادا تاما.

كم من الناس ظنوا أنهم مستحقين للنعم فاحتقروا نعم الله، ورأوا أن كل شيء يعطيهم رب العالمين هم مستحقين له!

كم من أناس ظنوا في نفوسهم ظنا حسنا، وثقوا في أنفسهم إلى أن جرت أقدامهم على الباطل وإلى الفساد والفسق!

أفكار مزخرفة وفي غاية اللطافة في دخولها إلى القلب، إذا ما حمى الإنسان نفسه وإذا ما فكر أنه سيحاسب عنها، فتصغى أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة، هؤلاء الذين يسمعون وتميل قلوبهم، ولذلك رب العالمين يقول: (وَلِيَرْضَوْهُ) يعني يسمع، يميل إليه ثم ينتقل من كونه يصغي إلى هذا الكلام ويسمعه ويميل إليه لكونه يرضى، ويشعر أنه كلام جميل.

يصغون إليه أولا وإذا مالوا إليه ورأوا العبارات مستحسنة رضوه وزين في قلوبهم وصار عقيدة راسخة وصفة لازمة، ينتج من هذا أن يقترفوا من الأقوال والأعمال ما هم مقترفون، وقتها تأتي لوازم هذا الكلام، أي فكرة يتبنونها يجدون لوازمها ويسيرون وراءها حتى ينشقون عن الطريق، حتى يكونون في مكان والحق في مكان آخر.

هذا الخطر لا يشعر به إلا الإنسان الواعي بزخرف القول، الذي يحلل ما يسمع ويحلل ما يعرض عليه دون أن يكون في نفسه ميل إلى كلام أهل الباطل، بل يحب الحق ويطلب الحق ويعارض الباطل بالحق الذي يحمله.

(وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ) بهذه الطريقة يسير الإنسان فيبتعد عن الطريق الحق؛ يلقى زخرف القول فلا يميز بينه وبين القول الحق، لأن زخرف القول لا يأتي بحالة إظهار الباطل، بل لا بد ان يكون مزخرف مموه، فيشعر الإنسان أنه كلام مقبول يشبه كذا في كلام النبي ﷺ، ويشبه كذا في كلام الله، ولا يتحقق صحة هذا الكلام. نقول كل قول لا تقبله مباشرة بل حلله وافهمه، إذا سمع زخرف القول مال فؤاده إليه، إذا

مال فؤاده رضي عنه، إذا رضي تكون هذه النتيجة الأخيرة الخطيرة، بعد الرضا يأتي الاقتراف، يصبح عقيدة راسخة وصفة لازمة، ينتج من ذلك الاقتراف من العمال والأقوال.

فهذه حال المغترين بشياطين الإنس والجن المستجيبين لدعوتهم، وكما يقول الشيخ السعدي: "وأما أهل الإيمان بالآخرة، وأولو العقول الوافية والألباب الرزينة، فإنهم لا يغترون بتلك العبارات، ولا تخلبهم تلك التمويهات، بل همتهم مصروفة إلى معرفة الحقائق، فينظرون إلى المعاني التي يدعو إليها الدعاة، فإن كانت حقا قبلوها، وانقادوا لها، ولو كُسيَت عبارات ردية، وألفاظا غير وافية"، هو قرب لك الحق، كلمك عن الحق لكن ما أتى بكلمات بلاغية كبيرة وعظيمة، لكن مضمونها حق فأنت تقبل هذا.

"وإن كانت باطلا ردوها على من قالها، كائنا من كان، ولو ألبست من العبارات المستحسنة، ما هو أرق من الحرير. ومن حكمة الله تعالى، في جعله للأنبياء أعداء، وللباطل أنصارا قائمين بالدعوة إليه، أن يحصل لعباده الابتلاء والامتحان، ليتميز الصادق من الكاذب، والعاقل من الجاهل، والبصير من الأعمى. ومن حكمته أن في ذلك بيانا للحق، وتوضيحا له، فإن الحق يستنير ويتضح إذا قام الباطل يصارعه ويقاومه. فإنه -حينئذ- يتبين من أدلة الحق، وشواهده الدالة على صدقه وحقيقته، ومن فساد الباطل وبطلانه، ما هو من أكبر المطالب، التي يتنافس فيها المتنافسون".

فلله الحكمة البالغة، سبحانه وتعالى، أن جعل للحق أعداء، لا بد أن نؤمن أن لله الحكمة البالغة في ذلك، وأن هذا زيادة في بيان الحق، وفي

بيان من يصرع في طريق الحق، ويبتعد عن الحق، وفي بيان المنافقين، الذين يدعون أنهم على الحق، وفي التمييز بينهم وبين أهل الإيمان،

فالحمد لله رب العالمين الذي جهل للحق أهلا، الحمد لله الذي جعل الحق واضحا بيّنا، إذا قام الباطل يصارعه صرعه. ونسأله سبحانه وتعالى أن يجعلنا من أهل الحق، وأن يفتح لنا أبواب الحق وأبواب العلم، ويجعلنا متعلمين عاملين ناشرين للعلم ناصرين له، إنه سبحانه وتعالى جواد كريم، والحمد لله رب العالمين.

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد ألا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.